Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العمل والسكوت عن جميع القول . وليس الصمت كله أفضل من الكلام كله ولا الكلام كله أفضل من السكوت كله ، بل قد علمنا أن عامة الكلام أفضل من عامة السكوت . وقد قال الله عز وجل « سمّاعون للكَذِب أكّالون للسُّحْتِ » فجعل سمعه وكذبه سواء . وقال الشاعر :

بني عَدِيٍ ألا يُنْهى سفيهكم إنَّ السَّفيهَ إذا لَمْ يُنْهَ مَأمورُ

وقال آخر :

فإنْ أنا لَمْ آمُرْ وَلَمْ أنْهَ عنكما ضحكتُ له حتى يَلِجَّ وَيَستشري

وكيف يكون الصمت أنفع والايثار له أفضل ، ونفعه لا يكاد يجاوز رأس صاحبه ، ونفع الكلام يعم ويخص ! والرواة لم يرووا سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين . وبالكلام أرسل الله انبياءه لا بالصمت . ومواضع الصمت المحمودة قليلة ومواضع الكلام المحمودة كثيرة . وطول الصمت يفسد البيان . وقال بكر بن عبد الله المزني : طول الصمت حُبْسَةٌ كما قال عمر ترك الحركة عُقْلَةٌ . واذا ترك الانسان القول ماتت خواطره وتبلّدت نفسه وفسد حسّه وكانوا يُروون صبيانهم الارجاز ويعلّمونهم المناقلات ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب لأن ذلك يفتق اللَّهات ويفتح الجرم . واللسان إذا اكثرتَ تحريكه رَقّ ولان واذا اقللتَ تقليبَه وأطَلْتَ اسكاتَهُ جسا وَغَلُظ . وقال عُبابة الجُعْفيّ : لولا الدُّربة وسوء العادة لأمرتُ فتياننا ان يماري بعضهم بعضا . واية جارحة منعتَها الحركة ولم تمرنها على الأعمال اصابها من التعقد على حسب ذلك المنع .

فلِمَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدي : « لا يَفْضُضِ اللهُ فاك » ولم قال لكعب بن مالك : « ما نسي الله لك مقالك ذلك » ولم قال لهيذان بن شيخ : « رُبَّ خَطيب من عَبْسٍ » ؟ ولم قال لحسّان لما هيج الغطاريف على بني عبد مناف : « والله لَشِعْرُكَ أشَدُّ عليهم من وَقع السِّهام في غَبَشِ الظلام » ؟

وما نشك انه صلى الله عليه وسلم قد نهى عن المراء وعن التزيد والتكلف وعن كل ما ضارع الرياء أو السمعة والنفج والبذخ وعن التهاتر والتشاغب وعن المغالبة والمماتنة . فأما نفس البيان فكيف ينهى عنه وأبْيَنُ الكلام كلام الله وهو الذي مدح التبيين وأهل التفصيل !؟ وفي هذا كفاية إن شاء الله .

قال دَغفل بنُ حنظلة : إنَّ للعلم أربعا : آفة ونكداً وإضاعة واستجاعة ، فآفته النسيان ونكده الكذب وإضاعته وضعه في غير موضعه واستجاعته أنك لا تشبع منه . وإنما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثر العلماء ولخرق سياسة أكثر الرواة ، لأن الرواة إذا شغلوا عقولهم بالإزدياد والجمع عن تحفظ ما قد حصلوه وتدبر ما قد دونوه كان ذلك الإزدياد داعيا إلى النقصان ، وذلك الربح سببا للخسران .

وقد جاء في الحديث « مَنْهومان لا يشبعان منهومٌ في العلم ومنهومٌ في المال » وقالوا : عَلِّم علمَك وتعلم علمَ غيرك ، فاذا أنت قد علمتَ ما جهلتَ وحفظتَ ما علمتَ . وقال الخليل بن أحمد : إجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيها لك على ما ليس عندك . وقال بعضهم ،